

الظواهر الصوتية عند علماء القراءات وأهل الأداء والتجويد
ظاهرة الوقف على أواخر الكلم أنموذجاً

*Acoustic phenomena in reading scientists and performers and intonation
The phenomenon of stopping at the end of the word as model*

الجابري منصورى

جامعة الأغواط (الجزائر) mansouriamar5@gmail.com

تاريخ النشر: 2022 /01 /31

تاريخ النشر: 2022 /01 /24

تاريخ الارسال: 2022 /01 /18

الملخص:

لا شكّ في أنّ علماء القراءات والتجويد قد حفلت دراساتهم بمادة صوتية ثرية، شأنهم شأن علماء اللّغة والنحو، بل وأحياناً كانوا أشد تفصيلاً من غيرهم، ذلك لأنّ غايتهم هي تجويد القرآن الكريم، وتخليصه من اللحن والخطأ، فكانت الظواهر الصوتية مادة بحثهم وعايتهم معا في أغلبها، ولعلّ من بين الظواهر الصوتية التي اعتنى بها علماء القراءات والتجويد ظاهرة الوقف على أواخر الكلم، كالروم والإشمام وغير ذلك. وهو ما سنفصل فيه في هذا البحث إن شاء الله تعالى، معتمدين في ذلك على مصنّفات أرباب هذين العلمين من المتقدمين، وعلى مخرجات الدرس الصوتي الحديث وما قرره مما تعلق بظاهرتي الوقف والابتداء الصوتيتين.

الكلمات المفتاحية: علماء القراءات والتجويد، الصّوت، الوقف، السكون، الرّوم، الإشمام.

Abstract:

There is no doubt that the scholars of readings and intonation had been enriched by a rich sound material, like the scholars of the language and grammar, and sometimes they were more detailed than others, because their purpose is to intonate the Holy Quran, and rid it of melody and error, so the sound phenomena were the subject of their research and their purpose together for the most part, and perhaps among the sound phenomena taken care of the scholars of reading and intonation the phenomenon of waqf on the end of the word, Like rum, Ichemam, etc. This is what we will decide in this research hopefully, relying on the works of the leaders of these two advanced sciences, and on the outputs of the modern audio lesson and what it decided on the phenomena of cessation and initiation.

Key words: Scholars of reading and intonation, Sound, stopping, stillness, Rum, Ichemam.

*** **

1. مقدمة:

الوقف والقطع والسكت عبارات يطلقها المتقدمون غالباً مراداً بها الوقف، والمتأخرون فرقوا فقالوا⁶:
القطع: عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء
فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة
أخرى غيرها، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة
المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية لأنّ رؤوس الآي
في نفسها مقاطع.

والوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً
يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية
الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي
في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً.
والسكت: عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن
الوقف عادة من غير تنفس واختلاف ألفاظ الأئمة في
التأدية عنه مما يدل على طول وقصره.

4. الأصل في الوقف:

إنّ الأصل في الوقف السكون، وفي هذا
الشأن يقول الشاطبي رحمه الله:
وَالْإِسْكَانُ أَصْلُ الْوَقْفِ وَهُوَ اشْتِقَاقُهُ
مِنَ الْوَقْفِ عَن تَحْرِيكِ حَرْفٍ تَعَزَّلًا⁷
وإنما كان الأصل في الوقف على الكلم المتحرك وصلاً
السكون لأنّ معنى الوقف: الترك والقطع من قولهم:
وقفت عن كلام فلان: أي تركته وقطعته، ولأنّ
الوقف ضدّ الابتداء فلما اختصّ الابتداء بالحركة
كذلك اختصّ الوقف بالسكون، فهو عبارة عن
تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، وذلك لغة أكثر
العرب، وكثير من القراء⁸.

5. أنواع الوقف ثلاثة:

للقف في كلام العرب أوجه متعددة
والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة: السكون،

لقد اهتم علماء القراءات والتجويد بكثير من
القضايا الصوتية، لذا حفلت دراساتهم بمادة صوتية
ثرية، حيث كانت غايتهم من ذلك هي تجويد القرآن
الكريم، وتخليصه من اللحن والخطأ، وذلك عملاً
بقوله تعالى: {ورتل القرآن ترتيلاً}، والترتيل كما قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو: «معرفة الوقوف
وتجويد الحروف»¹. والحق أنّ الظواهر الصوتية
كانت مادة بحثهم وغايتهم معاً في أغلبها، ولعلّ من بين
الظواهر الصوتية التي اعتنوا بها ظاهرة الوقف على
أواخر الكلم، كالسكون والروم والإشمام. وهذا ما
سنتناوله الآن إن شاء الله تعالى.

2. تعريف الوقف:

الوقف في اللغة: "الحبس والمنع"². وهو أيضاً "الكف
عن الفعل والقول"³.
وفي الاصطلاح: "عبارة عن قطع الصوت على الكلمة
زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما
يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله... لا بنية
الإعراض"⁴.

من خلال التعريف السابق يتضح لنا أنّ الوقف
ظاهرة صوتية، وذلك لأنّ "الوقف هو قطع لعملية
إنتاج الصوت اللغوي للفظة القرآنية، والابتداء هو
استئناف الانتاج الصوتي اللغوي"⁵. ولا شكّ في أنّ
القارئ يضطرّ إلى الوقف؛ لأنّه "لا يمكن له أن يقرأ
السورة، أو القصّة في نفس واحد، وجب حينئذ
اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء
ابتداء بعد التنفس والاستراحة"⁴.

3. في الفرق بين الوقف والقطع والسكت:

والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

والذي يهمننا في هذا البحث: السكون والروم والإشمام، وهالك بيان ذلك⁹:

أولاً: السكون: وهو الأصل في الوقف على الكلم المتحركة وصلًا، لأنّ معنى الوقف الترك والقطع من قولهم وقفت عن كلام فلان. أي تركته، وقطعته، "والسكون من الناحية الصوتية خال من التحقيق الصوتي، أي ليس له أثر مادي من ناحية النطق الفعلي، ولعل انعدام هذا الأثر المادي قد أوحى إلى أهل اللغة أن يجعلوا علامته دائرة كذا (0) وهي شبيهة بالصفير الذي ليست له قيمة عددية إيجابية، وقد لاحظ بعض الصوتيين ذلك فعَدَّ السكون العلامة الصفيرية للحركات"¹⁰.

ثانياً: الروم: وهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة حتى يذهب معظمها، وكلا القولين واحد، وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي.

ثالثاً: الإشمام: فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقال بعضهم: أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة. وكلاهما واحد، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف. وهذا مما لا يختلف فيه.

والمشهور عند أهل اللغة أنّ الإشمام يكون في الضمة فقط، بينما ذهب الكوفيون إلى جواز الإشمام في المجرور، قالوا: لأنّ الكسرة تكسر الشفتين كما أنّ الضمة تضُمَّهما"¹¹، وهذا ما ردّه ابن يعيش بقوله: «ولا يكون الإشمام في الجرّ والنصب عندنا، لأنّ الكسرة من مخرج الياء، ومخرج الياء من داخل الفم من ظهر اللسان إلى ما حاذاه من

الحنك من غير إطباق بتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان. ولأجل تلك الفجوة لان صوتها، وذلك أمرٌ باطنٌ لا يظهر للعيان. وكذلك الفتح؛ لأنّه من الألف،

والألف من الحلق، فما للإشمام إلهما سبيل"¹².

وهنا لابد من التنبيه على أمر مهم جداً، غاب عن كثير من الدارسين، ونبه عليه الأستاذ غانم قدوري، وهو أنّ مصطلح الإشمام قد استعمله العلماء للدلالة على ظواهر لغوية عديدة، لذا فالإشمام عند غانم قدوري ثلاثة أنواع هي¹³:

1- الإشمام الوقفي: وهو تهيئة الشفتين للنطق بالضمة بعد إسكان الحرف الموقوف عليه، وذلك في مثل {نستعين}، وهو لرؤية العين، للدلالة على الحركة عند وصل الكلمة، وهو يختص بالضمة إعراباً أو بناءً، ولا يلحق الإشمام الوقفي الفتحة والكسرة، لعدم ظهور حركة أعضاء آلة النطق عند النطق بهما للعين بوضوح كما هي في الضمة.

2- الإشمام الصرفي: وهو النطق بكسرة في أول الفعل الثلاثي معتل العين المبني للمجهول، كما في مثل {قيل} مشوبة بضمة، وقد اختلفت عبارة علماء القراءة واللغة في تحديد هذه الحركة، كما اختلف أهل الأداء في النطق بها، ويقدمّ الدرس الصوتي الحديث ما يمكن أن يوحد فهم طبيعة هذه الحركة، وطريقة النطق بها، وهو ما يسمونه: بالحركة الثانوية الأمامية الضيقة المدورة، والتي تنطق بوضع مقدم اللسان حيث تنطق الكسرة، ثم تدور الشفتان من غير تحويل اللسان عن موضعه.

3- الإشمام الصوتي: وهو إشراب صوتٍ صفة صوتٍ آخر مجاورٍ له، أو خلطُ الصوت بصوتٍ آخر، وقد عبّر سيبويه عن هذه الظاهرة بمصطلح المضارعة وسماه ابن جني بالإدغام الأصغر، وعرفه بأنه تقريب صوت من صوت، وذلك مثل النطق بالصاد في كلمة أصدق وتصدية والصراط بين

الصاد والزاي، أو ممزوجة بالزاي، وذلك بإشراب الصاد صفة الجهر.

وسمى أكثر علماء القراءة هذه الظاهرة بالإشمام لأنّ الصاد ينطق بها مشمّة صوت الزاي.

ويطلق الدرس الصوتي الحديث على هذه الظاهرة مصطلح المماثلة الجزئية، لأنّ الصاد لم ينقلب إلى مثل الصوت المجاور له، ولكنه أخذ من صفة الجهر فقط.

6. فائدة الوقف بالروم والإشمام:

إنّ فائدة الوقف بالروم والإشمام تكمن في "بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها"¹⁴، لذا ذهب أهل العلم إلى أنه "لا روم ولا إشمام عند قراءة القرآن في الخلوة"¹⁵، وأما عند حضور الغير فإنه "يتأكد ذلك ليحصل البيان للسامع، فإن كان السامع عالماً بذلك علم بصحة عمل القارئ، وإن كان غير عالم كان في ذلك تنبيه له ليعلم حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل، وإن كان القارئ متعلماً ظهر عليه بين يدي الأستاذ هل أصاب فيقره، أو أخطأ فيعلمه. وكثير ما يشته على المبتدئين، وغيرهم ممن لم يوقفه الأستاذ على بيان الإشارة أن يميزوا بين حركات الإعراب في قوله تعالى: {وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ}، و{إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقيرٌ} فإنهم إذا اعتادوا الوقف على مثل هذا بالسكون لم يعرفوا كيف يقرءون {عليم} و{فقير} حالة الوصل، هل هو بالرفع أم بالجر، وقد كان كثير من معلمينا يأمرنا فيه بالإشارة. وكان بعضهم يأمر بالوصل محافظة على التعريف به، وذلك حسن لطيف"¹⁶.

لقد تكلمنا أنفاً من أنّ تعريف الروم عند القراءة يختلف عما هو عند النحاة، وفائدة هذا الخلاف تظهر في حقيقة الروم في المفتوح والمنصوب غير

المنون. فعلى قول القراء لا يدخل على حركة الفتح لأنّ الفتحة خفيفة فإذا خرج بعضها خرج سائرهما لأنها لا تقبل التبعية كما يقبله الكسر والضم بما فيهما من الثقل. والروم عندهم بعض حركة. وعلى قول النحاة يدخل على حركة الفتح كما يدخل على الضم والكسر لأنّ الروم عندهم إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس، وذلك لا يمتنع في الحركات الثلاث، ولذلك جاز الاختلاس عند القراء في هاء {يهدي} وحاء {يخصمون} المفتوحين، ولم يجز الروم عندهم في نحو {لا ريب}، {وأن المساجد}. وجاز الروم والاختلاس عند النحاة في نحو (أن يضرب) فالروم وقفوا والاختلاس وصلوا، وكلاهما في اللفظ واحد"¹⁷.

«وللصوتيين تعليل آخر ربما كان أدل على استثناء الفتحة من عناصر (الروم) ذلك أنّ الفتحة صوت يهبط للسان حال النطق به إلى أقصى ما يمكن إليه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، والشفتان مع هذه الحركة في وضع محايد، لذلك كانت حركة متسعة حيث إنّ الفراغ بين اللسان والحنك أوسع ما يمكن في هذا الموضع، مما يخفت معه الصوت لانطلاق الهواء دون احتكاك بأي عضو من أعضاء النطق، ومن ثم فلا يضعف الضعيف، إذ أنّ الروم كما قال أصحاب التيسير هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها.

هذا على حين أنّ الكسرة والضمة من أصوات اللين الضيقة لأنّ اللسان مع كل منهما يبلغ في صعوده نحو الحنك أقصى ما يمكن للنطق بهما، فيضيق مجرى الهواء مما ينشأ عنه ضوضاء تجعلهما أكثر وضوحاً في السمع من الفتحة، ومن ثم يمكن تضعيف الصوت بهما بتقليل كمية الهواء المندفع من الرئتين بضغط الحجاب الحاجز عليهما"¹⁸.

7- حاصل الكلام على الوقف بأنواعه الثلاثة:

سوء، وما لم تكن الكسرة فيه منقولة من حرف في كلمة أخرى نحو: {ارجع إليهم}، أو لالتقاء الساكنين مع كون الساكن من كلمة أخرى نحو {وقالت اخرج} في قراءة من كسر التاء {وإذا رجت الأرض} في قراءة الجميع، أو مع كون الساكن الثاني عارضا للكلمة الأولى كالتنوين في {حينئذ} فإن هذا كله لا يوقف عليه إلا بالسكون كما تقدم.

القسم الثالث: ما يجوز الوقف عليه بالسكون وبالروم وبالإشمام:

وهو ما كان في الوصل متحركاً بالضم ما لم تكن الضمة منقولة من كلمة أخرى، أو لالتقاء الساكنين. وهذا يستوعب حركة الإعراب وحركة البناء والحركة المنقولة من حرف حذف من نفس الكلمة. فمثال حركة الإعراب {الله الصمد}، {يخلق}، {عذاب عظيم}، ومثال حركة البناء: {من قبل}، {من بعد}، {يا صالح}، ومثال الحركة المنقولة من حرف حذف من نفس الكلمة {دفع}، {المرء} كما تقدم في وقف حمزة. ومثال الحركة المنقولة من كلمة أخرى ضمة اللام في {قل أوحى}، وضمة النون في {من أوتي}، ومثال حركة التقاء الساكنين ضمة التاء في {وقالت اخرج} وضمة الدال في {ولقد استهزئ}، في قراءة من ضم. وكذلك الميم من {عليهم القتال}، {بهم الأسباب} عند من ضمها. وكذلك نحو: {ومنهم الذين}، {وأنتم الأعلون}، وهو المقدم في الصنف الخامس مما لا يجوز فيه وقفا سوى السكون.

4. خاتمة:

وفي الأخير نذكر أهم نتائج البحث:
- لقد اهتم أهل القراءات والتجويد بالدرس الصوتي.

انقسم الوقف على أواخر الكلم ثلاثة أقسام¹⁹:
القسم الأول: قسم لا يوقف عليه عند أئمة القراءة إلا بالسكون، ولا يجوز فيه روم، ولا إشمام، وهو خمسة أصناف:

أولها: ما كان ساكناً في الوصل نحو {فلا تهز}، {ولا تمنن}، {ومن يعتصم}، {ومن يهاجر}، وغير ذلك.

ثانيها: ما كان في الوصل متحركاً بالفتح غير منون، ولم تكن حركته منقولة نحو: {لا ريب}، {ويؤمنون}، {وضرب}، وغير ذلك.

ثالثها: الهاء التي تلحق الأسماء في الوقف بدلاً من تاء التأنيث نحو: {الجنة}، {والملائكة}، {والقبلة}، وغير ذلك.

رابعها: ميم الجمع في قراءة من حركه في الوصل ووصله، وفي قراءة من لم يحركه، ولم يصله نحو: {عليهم آذنتهم أم لم تنذرهم}، {وفيمهم}، {وأنتهم}، {وعلى قلوبهم}، وغير ذلك.

خامسها: المتحرك في الوصل بحركة عارضة إما للنقل نحو: {وانحر ان}، {فقد أوتي}، وإما لالتقاء الساكنين في الوصل نحو: {قم الليل}، {وأندر الناس}، {ولقد استهزئ}، {اشتروا الضلالة}، {وحينئذ} لأن كسرة الذال إنما عرضت عند لحاق التنوين فإذا زال التنوين في الوقف رجعت الذال إلى أصلها من السكون.

القسم الثاني: ما يجوز فيه الوقف بالسكون وبالروم ولا يجوز بالإشمام:

وهو ما كان في الوصل متحركاً بالكسر سواء كانت الكسرة للإعراب أو البناء نحو بسم الله الرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين، وفي النار، ومن الناس، فارهبون وارجعون، وأف، وهؤلاء، وسبع سموات، وعتل، وزنيم، وكذلك ما كانت الكسرة فيه منقولة من حرف حذف من نفس الكلمة كما في وقف حمزة في نحو: بين المرء، ومن شيء، وظن السوء، ومن

- من بين الظواهر الصوتية التي اعتنى بها أهل القراءات التجويد الوقف على أواخر الكلم.

- للوقف في كلام العرب أوجه متعددة أهمها: السكون والروم والإشمام.

- الأصل في الوقف السكون.

- اتفق القراء والنحاة في تعريف الإشمام، واختلفوا في تعريف الروم.

- لا بدّ من التفريق بين أنواع الإشمام:

- الإشمام الوقفي - الإشمام الصرفي - الإشمام الصوتي.

- تكمن فائدة الوقف بالروم والإشمام في بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها.

- على قول القراء لا يدخل الروم على حركة الفتح لأنّ الفتح خفيفة فإذا خرج بعضها خرج سائرهما؛ لأنها لا تقبل التبعية كما يقبله الكسر والضم بما فيهما من الثقل. والروم عندهم بعض حركة. وعلى قول النحاة يدخل على حركة الفتح كما يدخل على الضم والكسر؛ لأنّ الروم عندهم إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس، وذلك لا يمتنع في الحركات الثلاث.

5. الهوامش:

*** **

- 2 انظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1403، ص 253. وانظر أيضاً: أبو البقاء الكفوي، الكليات، تج: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 940.
- 3 أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، تج: شريف أبو العلا العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422، ص 24.
- 4 شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تج: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج 1، ص 240.
- 5 انظر: الجابري منصورى، عائشة عبيزة، ظاهرة الوقف والابتداء الصوتية وتوجيهها في القرآن الكريم- توجيهه ما استشكل على الغماري من الوقف الهبطي-، مجلة الصوتيات، المجلد 15، العدد 02 ديسمبر 2019، ص 142.
- 6 انظر: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 238-240. وانظر أيضاً: الإلتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 299-300.
- 7 أبو محمد الشاطبي، حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، تج: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط 4، 1426، ص 30.
- 8 محمد محمد محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1418، ج 1، ص 358.
- 9 انظر: أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تج: خلف حمود الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط 1، 1436، ص 246-247. وانظر أيضاً: النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 120-121.
- 10 إسماعيل أحمد الطحان، التغيرات الصوتية في الوقف في اللغة والقرآن، حولىة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الخامس، 1407، ص 317.
- 11 يعيش بن علي بن يعيش الموصلى، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422، ج 5، ص 209.
- 12 المصدر السابق، ج 5، ص 209.
- 13 غانم قدوري الحمد، الإشمام في العربية حقيقته وأنواعه، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد التاسع، جمادى الآخرة 1431، ص 236-237.
- 14 النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 125. جلال الدين السيوطي، الإلتقان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1349، ج 1، ص 306.
- 15 على الله بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، المنصورة، ط 3، 1424، ص 125.
- 16 النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 125.
- 17 المصدر نفسه، ج 2، 126.
- 18 التغيرات الصوتية في الوقف في اللغة والقرآن، ص 314-315.

1 أبو الحسن النوري الصفاقسي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، تج: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص 128.

